الى وضع إطار جديد لطبيعة الصراع في المنطقة، ينطلق من أسس دينية أو تاريخية أو قانونية، لتسعر العداء الذي بدأ يستفحل بين اليهود - كأصحاب ديانة - وبين العرب والمسلمين - كأصحاب ديانة - أيضاً، ومن ثم تلفت الانظار عن جوهر المشكلة وأسبابها ودوافعها.

لقد عاش اليهود في مختلف البلدان العربية ولا زالوا، من اليمن حتى المغرب ومن سوريا حتى السودان؛ وعلى الرغم من أن تواجدهم بات ضئيلا في هذه البلاد إلا أن سبب رحيلهم لم يكن عربياً، ولم يكن اضطهادا أو تنكيلا أو طردا، رغم أن مشكلة فلسطين كانت ولا زالت قائمة، ورغم أن الصراع وأسبابه ما زالت تستند الى الجذور الخاطئة وتنهل من الأصول المنحرفة.

إن الشرخ الوطني الذي حصل بين اليهود ومواطنيهم الآخرين، في البلاد العربية، يعود تاريخه الى النصف الأول من القرن الماضي - القرن التاسع عشر - مقترنا بتفاقم المسالة الشرقية وتكالب الدول الاستعمارية على اقتسام إرث الامبراطورية العثمانية، قبل انهيارها، وصراع هذه الدول على كسب مناطق نفوذ من خلال ادعاء الحماية للأقليات الطائفية، التي تعيش في هذه المنطقة، تسويغاً لتدخلها المباشر في شؤونها، وتمهيداً للسيطرة عليها والحاقها بأملاكها. ولما كان اليهود أقلية لها أهميتها واعتبارها في المنطقة العربية، فقد كانت هدفا يتصارع عليه الكبار الذين استخدموها ورقة يلعبونها في الوقت المناسب، واحتياطيا يؤدي دوراً أساسياً في بناء مشاريع الاستعمار للسيطرة على المنطقة. ففي الوقت الذي عمدت فيه فرنسا الى تجنيس يهود شمال أفريقيا بجنسيتها، ليرتفع رصيدها من المستوطنين المرتبطين بها مصيريا، سعت انجلترا الى تعميق فكرة طلب الحماية من قبل اليهود في المشرق العربي. إلا أن تحقيق التجنيس والحماية تطلبا تمهيدات ضرورية تبدأ باثارة المشاكل، بين اليهود وباقي المواطنين من الطوائف الاخرى، مما تطلب بدوره افتعال موجات من الاضطراب والاضطهاد وبرعاية هذه الدول وبتدبيرها كي تصل الى الهدف.

من هنا كانت فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين تحقق للدول الاستعمارية جملة أهداف، ولكن ليس بين هذه الاهداف جميعاً هدف يهودي أو مصلحة يهودية واحدة. وجاءت بداية الحديث عن إقامة دولة يهودية في سنة ١٧٩٨، عندما أصدر نابليون بونابرت منشورا يدعو فيه اليهود إلى إقامة دولتهم في فلسطين. وفي سنة ١٧٩٩ أصدر منشوراً اخر يدعو فيه يهود أفريقيا وآسيا الى الالتفاف حوله لاعادة بناء القدس القديمة. وفي سنة ١٩٦٠ أصدر أرنست لهران السكرتير الخاص لنابليون الثالث امبراطور فرنسا، نشرة عنوانها «المسالة الشرقية»، يدعو فيها اليهود الى العمل لبعث وطنهم تحت الحماية المقدسة لفرنسا المحررة. وبعد ذلك بفترة قصيرة، رعت الامبراطورة أوجيني لجنة تشكلت في باريس لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين. ثم انتقلت المبادرة الى بريطانيا عقب احساسها بخطر محمد علي باشا، فاحدثت في القدس، في سنة ١٨٣٩ قنصلية بريطانية، وهي أول قنصلية لدولة غربية في المدينة المقدسة، وقد وضعت اليهود تحت حمايتها. وفي سنة ١٩٤٠ دعا اللورد شافتسبري في تقريره، الى اقامة حاجز بين الجزء